





الجهاد

بقلم
محمد بن عبد الله الحصم

راجعته وقدم له
فضيلة الشيخ العلامة
سليمان بن ناصر العلوان حفظه الله تعالى



(قرأت كتاب معالم في الجهاد للشيخ محمد
الحصم حفظه الله فرأيت فيه نوراً وعلماً نافعاً
ونصحاً صادقاً.

والكتاب جيد ومفيد وأنصح بطباعته وأحث
المسلمين على قراءته).

كتبه

سليمان بن ناصر العلوان

١٤٣٤ / ١٢ / ٢ هـ

المقدمة	٩
﴿ فضائل الجهاد ﴾	١٣
١- الجهاد أفضل الأعمال	١٣
٢- الجهاد حياة ، للفرد والأمة	١٩
٣- الجهاد سبيل العزة والكرامة وتعطيله سبيل الذل والهوان	٢١
٤- الجهاد تجارة لا تقبل الخسارة	٢٣
٥- الجهاد من أعظم ما يكفر الله به الذنوب	٢٥
٦- الجهاد في سبيل الله يذهب الهم والغم	٢٧
٧- ترك الجهاد هلاك وفتنة	٢٩
﴿ حقائق في الجهاد ﴾	٣١
١- الهدف الأسمى والغاية العظمى للجهاد في سبيل الله	٣١
٢- العلم والجهاد	٣٥
٣- مصلحة الجهاد الراجحة	٣٩
٤- ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ ﴾	٤٣
٥- وجوب إعداد العدة	٤٥
٦- جهاد الدفع لا يشترط له شرط	٤٧
٧- انهزام القوة المادية أمام العقيدة والإيمان	٤٩
٨- العبرة ليست بالكثرة	٥١
٩- ماذا سيخسر أعداؤنا في الجهاد؟	٥٣
١٠- أسباب النصر	٥٥
١١- أسباب الهزيمة، والحكمة من وقوعها، وموقف المسلم منها	٦١
١٢- البيعة في الجهاد	٦٩
١٣- إقامة الدولة	٧١
﴿ النبي المجاهد ﷺ ﴾	٧٣
﴿ وبشر المؤمنين ﴾	٧٧

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على إمام المجاهدين وقائد
 الغر المحجلين محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين ومن اقتفى أثره
 وسار على نهجه وجاهد بجهاده إلى يوم الدين وبعد:
 فالناظر في واقع هذه الأمة العظيمة أمة محمد ﷺ يعلم أنها
 تعيش اليوم حقبة هي الأسوأ والأضعف في تاريخها، حيث أصبحت أمة
 مستباحة يسومها أعداؤها سوء العذاب يقتلون أبناءها ويحتلون بلادها
 وينهبون خيراتها.

وكان هذا الواقع الذي تعيشه أمتنا اليوم نتاجا مرا للحركة
 الاستعمارية التوسعية الغربية في القرن الماضي، حيث أنهم عرفوا أن عز
 هذه الأمة إنما هو بهذا الدين، وأنهم ما تمكنوا من بلاد الإسلام إلا
 بعد أن فرط المسلمون بدينهم، وأن بقاء هذا الدين في حياة الناس شرعا
 يعملون به ويتحاكمون إليه هو أعظم سبب لصحوة هذه الأمة وعودتها
 لعزها ومجدها، وهو كذلك أكبر خطر يهدد مصالحهم وهيمنتهم على
 بلاد الإسلام، فجاءوا بكذبة الديمقراطية ليعزلوا هذا الدين عن الحكم
 ويجعلوه محصورا في المساجد، واستبدلوا الشرع المطهر بدساتير وضعية
 وضیعة تضمن أولا عزل الدين عن الدولة ومن ثم تؤمن هيمنتهم وتكفل
 تبعية المسلمين لهم، وتضمن ثانيا بقاء معاول الهدم والتغريب في هذه

الأمة بما تبيحه من حريات في الاعتقاد والسلوك.

وعلموا أن الناس على دين ملوكها وأن الكدر من رأس العين
فسلطوا على الناس شرارهم.. حكاما فاسدين سفهاء، لا يرجون لله
وقارا ولا يرفعون بشرعه رأسا، فكانوا عملاء مخلصين ووكلاء أمينين لا
يألون جهدا في طاعة أسيادهم وتنفيذ مشاريعهم إذا سلمت لهم شهواتهم
ومناصبهم.

وأعظم شيء حرصوا على تغييره وطمس معالمه من هذا الدين
هو الجهاد في سبيل الله، لأن مفهوم الجهاد في الإسلام لا يقف أمام
مخططاتهم ويأمر بتحرير بلاد الإسلام منهم فحسب، بل يتعدى ذلك إلى
غزوهم في بلادهم وإدخالهم في سلطان المسلمين إما باعتناقهم الإسلام أو
إعطاء الجزية عن يد وهم صاغرون خاضعون لأحكام الإسلام ودولته.
فصوروا الجهاد بالإرهاب وجعلوه تهمة وجريمة، وأمروا بتغيير
المناهج - التي هي في الأصل مشوهة - لضمان خلوها من أي مفهوم
صحيح للجهاد، وقام الوكلاء بواجبهم فأسكتوا كل صوت وكسروا
كل قلم يدعو للجهاد، وزجوا في السجون حتى من يحدث نفسه به، أما
من يتجرأ ويخرج ليجاهد فقد أعذر من نفسه فلا تنفعه عندهم شفاعة
الشافعين، ولا يقبلون منه صرفا ولا عدلا.

وانبرى لتزيين باطلهم بعض من ينتسبون للعلم والدعوة فاخترلوا
مفهوم الجهاد بالدفع وعن الوطن فقط، وأبطلوا بفتاواهم الجهاد وعطلوه،

وحملوا الراية للصد عن سبيل الله وتشويه صورة المجاهدين، ولم يكتفوا بذلك بل باركوا احتلال بلاد المسلمين بدعوى تحريرهم وأضفوا الشرعية على الأنظمة التي صنعها المحتلون، ودعوا المسلمين للإنضمام تحتها.

ومن هذا المنطلق أردت أن أبين بعض فضائل الجهاد وحقائقه تثبيتاً للمجاهدين وإنذاراً للقاعدين وإعذاراً للمخدوعين وتذكيراً للغافلين بأن الجهاد في سبيل الله هو السبيل لعودة هذه الأمة إلى عزها ومجدها ومكانتها، وهو السبيل لحماية البيضة وصيانة الأعراس، وهو الطريق الأفضل للفوز برضا الله والجنة، والنجاة من غضبه والنار، وسميته «معالم في الجهاد» سائلاً المولى ﷻ أن ينصر دينه ويعلي كلمته، وأن يستعملنا في ذلك، وأن يجعل هذا العمل صالحاً ولوجهه خالصاً، وأن يحشرنا مع المجاهدين وفي زمرة الشهداء إنه سبحانه ولي ذلك والقادر عليه.

وقد يسر الله ﷻ أن أعرض هذا الكتاب على فضيلة الشيخ العلامة سليمان بن ناصر العلوان حفظه الله فتفضل مشكوراً بالاطلاع عليه وأكرمني - أكرمه الله - بتقديمه وأشار بطباعته وحث على قراءته أسأل الله أن يجزيه عني وعن المسلمين خير الجزاء وأن ينفع بعلمه ويرفع درجته ويكفيه بما شاء كل شر وسوء. اللهم آمين.

﴿ فضائل الجهاد ﴾

١- الجهاد أفضل الأعمال

الجهاد في سبيل الله أفضل الأعمال، والمجاهدون في سبيل الله أفضل الناس، والأدلة على ذلك من الكتاب والسنة.

قال الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ۖ ۝٩٥ دَرَجَتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٩٦﴾ (النساء).

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة مائة درجة أعدتها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض».

وفي صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «يا أبا سعيد من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً وجبت له الجنة» فعجب لها أبو سعيد فقال: أعدتها علي يا رسول الله ففعل ثم قال: (وأخرى يرفع بها العبد مائة درجة في الجنة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض) قال: وما هي؟ يا رسول الله قال: (الجهاد في سبيل الله الجهاد في سبيل الله».

بل قد أنكر سبحانه على من سوى بين الجهاد وغيره من أعمال البرّ وبين فضل المجاهدين على غيرهم فقال تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللّهِ وَاللّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ١١﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّتْ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴿التوبة﴾.

وجاء في سبب نزول هذه الآيات كما في صحيح مسلم عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل: ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد الإسلام إلا أن أسقي الحاج. وقال آخر: ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد الإسلام إلا أن أعمر المسجد الحرام. وقال آخر: الجهاد في سبيل الله أفضل مما قلتم. فزجرهم عمر وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوم الجمعة، ولكن إذا صليت الجمعة دخلت فاستفتيته فيما اختلفتم فيه، فأنزل الله عز وجل ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللّهِ﴾ [التوبة / ١٩] الآية إلى آخرها.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: دلني على عمل يعدل الجهاد قال: «لا أجده» قال: «هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر وتصوم ولا تفطر؟»

قال: ومن يستطيع ذلك. رواه البخاري

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل للنبي ﷺ: ما يعدل الجهاد في سبيل الله عز وجل؟ قال: «لا تستطيعونه» قال: فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثاً كل ذلك يقول: «لا تستطيعونه» وقال في الثالثة: «مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صيام وصلاة حتى يرجع المجاهد في سبيل الله تعالى». رواه مسلم

وعند الترمذي من حديث معاذ قال ﷺ: «رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد» [رواه الترمذي]

قال العلامة ابن رجب الحنبلي: «ذروة سنامه هو أعلى ما فيه وأرفعه وهذا يدل على أنه أفضل الأعمال بعد الفرائض كما هو قول الإمام أحمد وغيره من العلماء» [جامع العلوم والحكم ١/٢٤٧]

فهذه بعض الآيات والأحاديث في فضل الجهاد والمجاهدين، وأنهم أفضل الأمة لأن عملهم هو أفضل الأعمال وأعظمها وأكثرها أجراً وثواباً.

وذلك لأن بهم عز الأمة ورفعتها، وبهم تصان الأعراض وتحقن الدماء، وبهم تأمن السبل وينتشر الأمن، وبهم تتخلص الأمة من الأعداء الغاصبين، وبجهادهم تمهد الطرق لنشر العلم والدعوة إلى الله، وبجهادهم تمضي حجة الله على عباده.

فإن كان غيرهم يقدم ماله فهم يقدمون أرواحهم، وإن كان

غيرهم يضحى بوقته فهم يضحون بالدنيا وما فيها.
 وهم أشد الناس فتنه وأعظمهم بلاء والنبي ﷺ يقول: «أشد الناس
 بلاء الأنبياء ثم الأئمة فالأئمة». فالرؤوس بجانبهم تتطير، والأشلاء
 تتناثر، والأيدي تندر، والأرجل تبتتر.

قال ابن قدامة رحمه الله: «ولأن الجهاد بذل المهجة والمال ونفعه
 يعم المسلمين كلهم صغيرهم وكبيرهم قويهم وضعيفهم ذكرهم وأنثاهم،
 وغيره لا يساويه في نفعه وخطره فلا يساويه في فضله وأجره».

[المغني ١٠ / ٣٦٢]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «والأمر بالجهاد، وذكر
 فضائله في الكتاب والسنة، أكثر من أن يحصر، ولهذا كان أفضل ما
 تطوع به الإنسان، وكان باتفاق العلماء أفضل من الحج والعمرة، ومن
 الصلاة التطوع، والصوم التطوع، كما دل عليه الكتاب والسنة، حتى
 قال النبي ﷺ: «رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه
 الجهاد»، ولم يرد في ثواب الأعمال وفضلها، مثل ما ورد فيه، فهو
 ظاهر عند الاعتبار، فإن نفع الجهاد عام لفاعله ولغيره في الدين والدنيا،
 ومشمول على جميع أنواع العبادات الباطنة والظاهرة، فإنه مشتمل من
 محبة الله تعالى، والإخلاص له، والتوكل عليه، وتسليم النفس والمال له،
 والصبر والزهد، وذكر الله وسائر أنواع الأعمال، على ما لا يشتمل
 عليه عمل آخر. والقائم به من الشخص والأمة بين إحدى الحسينين

دائماً، إما النصر والظفر، وإما الشهادة والجنة، ثم إن الخلق لا بد لهم من محيا وممات، ففيه استعمال محياهم ومماتهم في غاية سعادتهم في الدنيا والآخرة، وفي تركه ذهاب السعادتين أو نقصهما، فإن من الناس من يرغب في الأعمال الشديدة في الدين أو الدنيا، مع قلة منفعتها، فالجهاد أنفع فيهما من كل عمل شديد، وقد يرغب في ترقية نفسه حتى يصادفه الموت، فموت الشهيد أيسر من كل ميتة، وهي أفضل الميتات».

[السياسة الشرعية - ١٥٩]

وقال أيضاً: «وكذلك اتفق العلماء فيما أعلم على أنه ليس في التطوعات أفضل من الجهاد، فهو أفضل من الحج وأفضل من الصوم التطوع وأفضل من الصلاة التطوع، والمرابطة في سبيل الله أفضل من المجاورة بمكة والمدينة وبيت المقدس» [مجموع الفتاوى ٢٨ - ٤١٨]

٢- الجهاد حياة ٠٠ للفرد والأمة

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال ٢٤]

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: «قال الواحدي والأكثر على أن معنى قوله: ﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ هو الجهاد، وهو قول ابن اسحق واختيار أكثر أهل المعاني، قال الفراء: إذا دعاكم إلى إحياء أمركم بجهاد عدوكم يريد أن أمرهم إنما يقوى بالحرب والجهاد، فلو تركوا الجهاد ضعف أمرهم واجترأ عليهم عدوهم. قلت: الجهاد من أعظم ما يحييهم به في الدنيا وفي البرزخ وفي الآخرة، أما في الدنيا: فإن قوتهم وقهرهم لعدوهم بالجهاد، وأما في البرزخ: فقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾، وأما في الآخرة: فإن حظ المجاهدين والشهداء من حياتها ونعيمها أعظم من حظ غيرهم، ولهذا قال ابن قتيبة: ﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ يعني: الشهادة». [الفوائد / ٨٨]

وقال القرطبي رحمه الله: «وقيل: المراد بقوله: ﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ الجهاد فإنه سبب الحياة في الظاهر، لأن العدو إذا لم يغز غزا وفي غزوه

الموت، والموت في الجهاد الحياة الأبدية قال الله عز وجل: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ
 الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (١٣٩)
 [الجامع لأحكام القرآن ٣٤١/٧]

٣- الجهاد سبيل العزة والكرامة وتعطيله سبيل الذل والهوان

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم» إرواه أبو داود وصححه الألباني ١.

قال العلامة الشوكاني رحمه الله: «وسبب هذا الذل والله أعلم أنهم لما تركوا الجهاد في سبيل الله الذي فيه عز الإسلام وإظهاره على كل دين عاملهم الله بنقيضه وهو إنزال الذلة بهم، فصاروا يمشون خلف أذناب البقر بعد أن كانوا يركبون على ظهور الخيل التي هي أعز مكان. قوله: «حتى ترجعوا إلى دينكم» فيه زجر بليغ لأنه نزل الوقوع في هذه الأمور منزلة الخروج من الدين» انيل الأوطار ١٢٦٨/٥

قلت: وواقع الأمة خير شاهد على ذلك، كيف أصبحت بترك الجهاد أمة مستباحة يسومها أعداؤها سوء العذاب، وفي كل بقعة من هذا العالم لنا جرح ومأساة، حتى اليهود أذل أمة وأجبن شعب الذين ضرب الله عليهم الذلة والمسكنة إلى يوم القيامة يحتلون مقدساتنا ويستباحون دماءنا وأعراضنا في فلسطين، وما ذاك إلا لبعثنا عن شريعتنا وتركنا الجهاد الذي هو سبيل عزتنا وكرامتنا.

٤ - الجهاد تجارة لا تقبل الخسارة

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَذْلَكُكُمْ عَلَىٰ تَجَرُّفٍ تُنجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۖ تَوَمَّنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝١١﴾ يَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلُكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكَنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝١٢﴾ وَأُخْرَىٰ يُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَيُسَرُّ الْمُؤْمِنِينَ ۝١٣﴾

[الصف]

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «تكفل الله لمن جاهد في سبيله لا يخرج منه من بيته إلا الجهاد في سبيله وتصديق كلمته أن يدخله الجنة أو يرده إلى مسكنه بما نال من أجر أو غنيمة» رواه البخاري ومسلم.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: «وقد تظاهرت آيات الكتاب وتواترت نصوص السنة على الترغيب في الجهاد والحض عليه ومدح أهله والإخبار عما لهم عند ربهم من أنواع الكرامات والعطايا الجزليات، ويكفي في ذلك قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَذْلَكُكُمْ عَلَىٰ تَجَرُّفٍ تُنجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ فتشوقت النفوس إلى هذه التجارة الراجحة الدال عليها رب العالمين العليم الحكيم فقال: ﴿تَوَمَّنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾ فكان النفوس ضنت بحياتها وبقائها فقال: ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ يعني: أن الجهاد خير لكم من قعودكم للحياة والسلامة

فكأنها قالت: فما لنا في الجهاد من الحظ فقال: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ مع المغفرة ﴿وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ فكأنها قالت: هذا في الآخرة فما لنا في الدنيا فقال: ﴿وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ الْمُؤْمِنِينَ﴾. فيا لله ما أحلى هذه الألفاظ وما أَلصقتها بالقلوب وما أعظمها جذبا لها وتسييرا إلى ربها وما ألطف موقعها من قلب كل محب وما أعظم غنى القلب وأطيب عيشه حين تباشره معانيها فنسأل الله من فضله إنه جواد كريم.

[طريق المهجرتين ١ - ٥٢٦]

٥- الجهاد من أعظم ما يكفر الله به الذنوب

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ أَلْسِيَّاتٍ﴾ (هود ١١٤)، وقال ﷺ: «وَأَتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا» (رواه الترمذي).

والجهاد في سبيل الله من أعظم الحسنات فلذلك فهو من أعظم ما يكفر الله به الذنوب.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ومن كان كثير الذنوب فأعظم دوائه الجهاد، فإن الله عز وجل يغفر ذنوبه كما أخبر الله في كتابه بقوله سبحانه وتعالى: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ ومن أراد التخلص من الحرام والتوبة ولا يمكن رده إلى أصحابه فلينفقه في سبيل الله عن أصحابه فإن ذلك طريق حسنة إلى خلاصه مع ما يحصل له من أجر الجهاد، وكذلك من أراد أن يكفر الله عنه سيئاته في دعوى الجاهلية وحميتها فعليه بالجهاد.» [مجموع الفتاوى ٢٨ - ٤٢١]

٦ - الجهاد في سبيل الله يذهب الهم والغم

عن أبي أمامة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «عليكم بالجهاد في سبيل الله فإنه باب من أبواب الجنة يذهب الله به الهم والغم» إرواه الطبراني وصححه الألباني أ.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: «وأما تأثير الجهاد في دفع الهم والغم فأمر معلوم بالوجدان، فإن النفس متى تركت صائل الباطل وصولته واستيلاءه اشتد همها وغمها وكربها وخوفها، فإذا جاهدته لله أبدل الله ذلك الهم والحزن فرحاً ونشاطاً وقوة كما قال تعالى: ﴿فَتَلَوَّهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ وَيَصْرِكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ (١٤) وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ﴿التوبة ١٤ - ١٥﴾ فلا شيء أذهب لجوى القلب وغمه وهمه وحزنه من الجهاد والله المستعان» [زاد المعاد ٤ - ١٨٥]

٧- ترك الجهاد هلاك وفتنة

قال تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (البقرة ١٩٥)

عن أسلم أبي عمران قال: غزونا من المدينة نريد القسطنطينية وعلى الجماعة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد والروم ملصقو ظهورهم بجائط المدينة فحمل رجل على العدو فقال الناس: مه مه، لا إله إلا الله يلقي بيديه إلى التهلكة فقال أبو أيوب رضي الله عنه: إنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار لما نصر الله نبيه صلى الله عليه وسلم وأظهر الإسلام قلنا هلم نقيم في أموالنا ونصلحها فأنزل الله تعالى ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ فالإلقاء بالأيدي إلى التهلكة أن نقيم في أموالنا ونصلحها وندع الجهاد، قال أبو عمران: فلم يزل أبو أيوب يجاهد في سبيل الله حتى دفن بالقسطنطينية. إرواه أبو داود والترمذي.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فمن ترك القتال الذي أمر الله به لئلا تكون فتنة فهو في الفتنة ساقط بما وقع فيه من ريب قلبه ومرض فؤاده وتركه ما أمر الله به من الجهاد فتدبر هذا فان هذا مقام خطر.

والناس فيه على قسمين: قسم يأمرّون وينهون ويقاتلون طلباً لإزالة الفتنة زعموا ويكون فعلهم ذلك أعظم فتنة كالمقتتلين في الفتن الواقعة بين الأمة مثل الخوارج. وأقوام ينكلون عن الأمر والنهي والقتال الذي يكون به الدين كله لله وتكون كلمة الله هي العليا لئلا يفتنوا وهم قد سقطوا في الفتنة» [الاستقامة ٢/٢٨٩]

﴿ حَقَائِقُ فِي الْجِهَادِ ﴾

١ - الهدف الأسمى والغاية العظمى للجهاد في سبيل الله

أهداف الجهاد في الإسلام واضحة وجليّة، وإن كثرت التبريرات الانهزامية في هذا الوقت حتى حصروا الجهاد في سبيل الله في هدف واحد وهو جهاد الدفع وتأمين الدعوة كما يقوله بعض المنهزمين ، ويركبون لذلك كل صعب وذلول، ويستدلون بالآيات المنسوخة، ويلوون أعناق النصوص انبطاحاً لأفكار الغرب الكافر.

فالهدف الأعظم والأساس للجهاد في سبيل الله واضح وجلي في كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ ، قال تعالى: ﴿ وَقَنَلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنَّ انْتِهَاءَ فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الأنفال ١٣٩]

وقال تعالى: ﴿ قَنَلُوا الَّذِينَ لَا يُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ [التوبة ٢٩]

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق

الإسلام وحسابهم على الله» [متفق عليه]

وعن أبي موسى قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله: ما القتال في سبيل الله؟ فإن أحدنا يقاتل غضبا و يقاتل حمية فقال: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله عز وجل» [متفق عليه]

فعلو كلمة الله في الأرض معناه أن تكون شريعة الله هي الحاكمة والمهيمنة، فإما أن يدخل الناس في الإسلام أو يدخلوا تحت حكمه وسلطانه حتى لا يبقى للكفر سلطان ولا دولة، هذا هو الهدف الأول للجهاد في سبيل الله، وبهذا الهدف كانت تقاتل جيوش الإسلام.

فعن بريدة رضي الله عنه قال كان رسول الله ﷺ إذا أمر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً ثم قال: «اغزوا باسم الله وفي سبيل الله قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال (أو خلال) فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ثم ادعهم إلى الإسلام فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين ولا يكون لهم في الغنيمة والفىء شيء

إلا أن يجاهدوا مع المسلمين فإن هم أبوا فسلهم الجزية فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم..» الحديث
[رواه مسلم]

وفي الصحيحين من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال
لعلي رضي الله عنه في خير: «انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى
الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه فوالله لأن يهدي الله
بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم».

وهذا ربعي بن عامر رضي الله عنه لما بعثه سعد رضي الله عنه إلى رستم فقال له
رستم: ما جاء بكم؟ قال: «الله ابتعثنا والله جاء بنا لنخرج من شاء من
عبادة العباد إلى عبادة الله ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان
إلى عدل الإسلام فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه فمن قبل منا ذلك
قبلنا ذلك منه ورجعنا عنه وتركناه وأرضه يليها دوننا ومن أبى قاتلناه
أبدا حتى نفضي إلى موعود الله. قال: وما موعود الله؟ قال: الجنة لمن
مات على قتال من أبى والظفر لمن بقي».

٢ - العلم والجهاد

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحديد ١٢٥)
 في هذه الآية الكريمة بين الله سبحانه وتعالى العلاقة بين العلم والجهاد، وأن بهما قوام هذا الدين، فأحدهما يكمل الآخر، ولن يكون هذا الدين عزيزاً قائماً إلا بهما.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فالدين الحق لا بد فيه من الكتاب الهادي والسيف الناصر» [منهاج السنة النبوية ١ / ٥٣١]
 وقال: «ولن يقوم الدين إلا بالكتاب والميزان والحديد كتاب يهدي به وحديد ينصره» [مجموع الفتاوى ٣٥ / ٣٦]
 وقال العلامة ابن القيم رحمه الله: «فدين الاسلام قام بالكتاب الهادي ونفذه السيف الماضي.

شعر:

فما هو إلا الوحي أوحد مرهف *** يقيم ضباه أخدعي كل مائل
 فهذا شفاء الداء من كل عاقل *** وهذا دواء الداء من كل جاهل»

[هداية الحيارى ١ / ١٠]

فالعلم يضيء الطريق، والجهاد يمهدده ويزيل ما فيه من العوائق،
والعلم ينير القلوب، والجهاد يرفع عنها أغطية الهوى والعناد، فلا بركة
في جهاد لا يقوم على علم، كما لا خير في علم لا يثمر العمل.

ومثل المجاهد بغير علم وعلى غير بصيرة كالذي يسير في الظلام
على طريق مليء بالأشواك، ومثل حامل العلم الذي لا يعظم الجهاد ولا
يهتم بقضايا الأمة كممثل الحمار يحمل أسفارا.

والله عز وجل قسم الأعمال كما قسم الأرزاق فمن فتح الله
عليه بالعلم فهو من ورثة الأنبياء ولا تثريب عليه إذا قام بالجهاد الواجب
وصدع بالحق، ومن فتح الله عليه بالجهاد فقد تبوأ ذروة سنام الإسلام
ولا تثريب عليه إذا قاتل على بصيرة ولم يفرط بالعلم الواجب، ومن جمع
بينهما فهو نور على نور وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

وليس مطلوباً من العالم أن يقاتل في كل جبهة كما لا يطلب
من المجاهد أن يحفظ المتون ويستوعب الأدلة، فالجهاد والعلم منه ما هو
واجب ومنه ما ليس كذلك.

والأمة بحاجة للعلماء كما هي بحاجة للمجاهدين قال تعالى:
﴿وَمَا كَانُوا الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ
لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾

[التوبة ١٢٢]

والواجب على العلماء أن ينصروا المجاهدين ويناصحوهم بالتي هي أحسن، كما أن على المجاهدين أن يحسنوا الظن بالعلماء ويسمعوا منهم.

وإنما يقع التخبُّط والأخطاء إذا حصلت الفجوة بين العلماء والمجاهدين.

٣- مصلحة الجهاد الراجعة

الجهاد ماضٍ إلى قيام الساعة لا يبطله شيء ولا ينقضه، إلا أن القيام به في وقت ما أو ظرف معين يتوقف على مدى تحقيقه للمصلحة المرجوة منه، وهو من هذه الناحية أمر اجتهادي يحتاج إلى نظر، فقد تحيط به من الظروف ما يغلب على الظن عدم حصول المصلحة منه، أو يغلب على الظن الضرر به، فتكون المصلحة في تأجيله والإحجام عنه، ومن أجل ذلك شرع الله عز وجل الهدنة وهي مودعة الكفار وترك قتالهم للحاجة والمصلحة كضعف المسلمين.

وكذلك العمليات الجهادية تحتاج قبل القيام بها إلى النظر في تحقيقها للمقصود منها، وموازنة ذلك بما قد يترتب عليها من أضرار ومفاسد، وليس هذا لكل أحد بل هو لأهل النظر والخبرة الذين يعتبرون بعواقب الأمور، فقد يصلح في بلد ما لا يصلح في آخر، ويصلح في وقت وظرف ما لا يصلح في غيره.

وإليكم هذا الحديث الذي يقرر ما ذكرناه فقد روى الإمام مسلم في صحيحه عن إبراهيم التيمي عن أبيه قال: كنا عند حذيفة فقال رجل: لو أدركت رسول الله ﷺ قاتلت معه وأبليت. فقال حذيفة: أنت كنت تفعل ذلك؟ لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ ليلة الأحزاب وأخذتنا ريح شديدة وقر فقال رسول الله ﷺ: «ألا رجل يأتيني بخبر القوم جعله

الله معي يوم القيامة» فسكتنا فلم يجبه منا أحد ثم قال: «ألا رجل يأتييني بنجر القوم جعله الله معي يوم القيامة» فسكتنا فلم يجبه منا أحد ثم قال: «ألا رجل يأتييني بنجر القوم جعله الله معي يوم القيامة» فسكتنا فلم يجبه منا أحد فقال: «قم يا حذيفة فأتنا بنجر القوم». فلم أجد بدا إذ دعاني باسمي أن أقوم قال: «اذهب فأتني بنجر القوم ولا تدعهم علي». فلما وليت من عنده جعلت كأنما أمشي في حمام حتى أتيتهم فرأيت أبا سفيان يصلي ظهره بالنار فوضعت سهما في كبد القوس فأردت أن أرميه فذكرت قول رسول الله: «ولا تدعهم علي». ولو رميته لأصبته فرجعت.. الحديث.

والشاهد من الحديث: أن أبا سفيان وكان رأس المشركين وقائدهم لم يكن في قتله مصلحة في ذلك الوقت لأنه سترتب على قتله مفسدة وهي نشوب المعركة التي كانت المصلحة في عدم نشوبها لذلك قال له النبي ﷺ: «ولا تدعهم علي» وفي الرواية الأخرى «ولا تحدثن شيئا حتى تأتينا» إرواه أحمد.

فلنعتبر بهذا الحديث ولنعط القوس باريها ونرجع الأمر إلى أهله من أهل العلم والجهاد، ولنترك الفوضى والارتجالية التي لا تنتج إلا الأخطاء، والسعيد من وعظ بغيره فكم فقدنا من رجال وكم في السجون اليوم من أهل الخير بسبب مثل هذه الأعمال من غير نكايه بالعدو ولا تحقيق مصلحة تذكر، بل ترتب عليها من الأضرار وانقطاع

الخير ما الله به عليم.

لقد تسببت الكثير من هذه الأعمال غير المشروعة أو غير المناسبة زمانا أو مكانا في تشويه صورة المجاهدين وتحلي كثير من الناس عن دعمهم وتأييدهم، وكانت هذه الأعمال ذريعة للمنافقين ومن في قلبه مرض للتشكيك في الجهاد والطعن في أهله.

إن الحفاظ على سمعة المجاهدين والتفاف الناس حولهم أمر لا ينبغي التفريط به، لقد ترك النبي ﷺ قتل من يستحق القتل حتى لا ينفر الناس وقال: «لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه»، فلا نجعل الناس يتحدثون أن المجاهدين يقتلون الأبرياء، ويستخفون بالدماء، ويفرطون بالثروات، وعندنا من الأعمال التي لا شبهة فيها ولا مفسدة فيها كفاية والحمد لله.

٤- ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ﴾

قال القرطبي رحمه الله: «وإنما كان الجهاد كرها لأن فيه إخراج المال ومفارقة الوطن والأهل والتعرض بالجسد للشجاج والجراح وقطع الأطراف وذهاب النفس فكانت كراهيتهم لذلك لا أنهم كرهوا فرض الله تعالى» الجامع لأحكام القرآن ٣ / ٣٨ |

نعم هذه حقيقة في الجهاد يجب أن يضعها المجاهد نصب عينه حتى لا يصطدم بالواقع، بل ما كان الجهاد أفضل الأعمال وما جعل الله تعالى فيه هذا الأجر العظيم إلا لما فيه من المشقة لأن الأجر على قدر المشقة، فليس الجهاد نزهة ومتعة ولا طريقا مفروشا بالورود بل كما وصفه الله تعالى بأنه كره وبأس، وإنما يقدم المسلم عليه لما يترتب عليه من الخير العظيم وما فيه من الأجر والفضل الكبير ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [البقرة ٢١٦]

والجهاد في زمننا هذا أشد كرها ومشقة، ففي الزمن الأول كان النبي ﷺ بين أظهرهم، ويقاوت معهم، وكانت الأمة كلها تقاتل فالرجل منهم يخرج للجهاد ومعه أصحابه وأقرباؤه وجيرانه، لا يخاف من أحد، بل ربما يخشى لو تخلف عن الجهاد أن يتهمة الناس ويظنوا به السوء،

ومع هذا كله كان الجهاد كرها، فكيف به اليوم والمجاهد يجد من الكره والمشقة في الوصول للمجاهدين أكثر مما يجد في الجهاد نفسه، ويخرج عندما يخرج وحيدا غريبا من بين أهله ومجتمعه، لا يكاد يجد من يوافقه ويؤيده، ففي وصوله للمجاهدين كره، وفي رجوعه إن رجع كره أشد مما في خروجه وجهاده، فربما يكون مصيره لو انكشف أمره السجن سنين طويلة، أو التضيق عليه في دنياه.

٥- وجوب إعداد العدة

أمر الله تعالى عباده المؤمنين بإعداد العدة وأوجب عليهم الأخذ بجميع أسبابها حتى تكون الأمة مهابة الجانب يرهبها أعداؤها فتنتقطع أطماعهم فيها فقال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ (الأنفال ٦٠)

قال ابن كثير رحمه الله: «ثم أمر تعالى بإعداد آلات الحرب لمقاتلتهم حسب الطاقة والإمكان والاستطاعة فقال: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ أي مهما أمكنكم» (تفسير ابن كثير ٢ / ٤٢٤)

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من علم الرمي ثم تركه فليس منا» (رواه مسلم)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من تعلم الرمي ثم نسيه فهي نعمة جحدتها» (رواه البزار والطبراني في الصغير والأوسط)

قال الشوكاني رحمه الله: «وفي ذلك إشعار بأن من أدرك نوعا من أنواع القتال التي ينتفع بها في الجهاد في سبيل الله ثم تساهل في ذلك حتى تركه كان آثما إثمًا شديداً، لأن ترك العناية بذلك يدل على ترك العناية بأمر الجهاد وترك العناية بالجهاد يدل على ترك العناية بالدين

لكونه سنامه وبه قام» انيل الأوطار ٨ / ١٦٣

وإعداد العدة لا إفراط ولا تفريط بل كما قال الله تعالى ﴿مَا أَسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ فكل ما هو ممكن من الإعداد للجهاد فلا يجوز التفريط به، ويجب على كل مسلم حسب الإمكان أن يتدرب على القتال وأن يكون مستعدا في أي لحظة للجهاد وخاصة في وقتنا هذا حيث يحيط بنا الأعداء من كل جهة، وحيث لا تزال الكثير من بلاد المسلمين ومقدساتهم تحت أيدي الأعداء والمحتلين، فإن لم يكن الإعداد واجبا في وقتنا هذا فلن يكون واجبا إلى قيام الساعة.

أما أن لا نجاهد ولا نقاتل حتى يكون عندنا مثل ما عند أعدائنا من القوة والسلاح فهذا معناه تعطيل للجهاد، ومتى كان المسلمون عبر تاريخهم كعدوهم في العدد والعدة؟!...

فهذه المعارك الفاصلة في الإسلام خاصة في القرن الأول كان المسلمون فيها أقل من عدوهم عددا وعدة، ولم يمنعهم ذلك من الغزو والجهاد، وكان ذلك في جهاد الطلب أما طرد المحتلين وتحرير بلاد المسلمين فهذا من جهاد الدفع الذي لا يشترط له شرط بل يجب مطلقا بكل ما هو متاح والله أعلم.

٦- جهاد الدفع لا يشترط له شرط

لقد طفق القاديانيون الجدد يثبطون عن الجهاد، ويلمزون أهله القائمين به، ويشيرون الشبه حول مشروعيته، ولسان حالهم يقول: انبطحوا أيها المسلمون واستسلموا لأعدائكم، وإياكم ومقاومة المحتلين، بل إذا دهمكم العدو وأخذ بلادكم فولوه أمركم واسمعوا وأطيعوا وإن تأمر عليكم علق صليبي أو مجوسي رافضي.

وأبطل هؤلاء جهاد إخوانهم في الشيشان وأفغانستان والعراق بزعم أنهم يقاتلون بلا راية، ونسي هؤلاء أو تناسوا أن الجهاد اليوم كله جهاد دفع لا يشترط له شرط.

قال شيخ الإسلام _قدس الله سره_: «وأما قتال الدفع فهو أشد أنواع دفع الصائل عن الحرمه والدين فواجب إجماعاً فالعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه فلا يشترط له شرط بل يدفع بحسب الإمكان وقد نص على ذلك العلماء أصحابنا وغيرهم فيجب التفريق بين دفع الصائل الظالم وبين طلبه في بلادهم». (الفتاوى الكبرى ٥ / ٥٣٧)

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله: «فقتال الدفع أوسع من قتال الطلب وأعم وجوبا ولهذا يتعين على كل أحد يقوم ويجاهد فيه: العبد بإذن سيده وبدون إذنه والولد بدون إذن أبويه والغريم بغير إذن غريمه وهذا كجهاد المسلمين يوم أحد والخندق، ولا يشترط في هذا النوع من الجهاد أن يكون العدو ضعفي المسلمين فما دون فإنهم كانوا يوم أحد والخندق أضعاف المسلمين فكان الجهاد واجبا عليهم لأنه حينئذ جهاد ضرورة ودفع لا جهاد اختيار». [الفروسية ١٨٨]

٧- انهزام القوة المادية أمام العقيدة والإيمان

قال تعالى: ﴿وَلَوْ قَتَلْتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَذْبَرَ ثُمَّ لَا يَحْدُوثَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ (٢٢) سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ [الفتح]

قال ابن كثير رحمه الله: «وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ قَتَلْتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَذْبَرَ ثُمَّ لَا يَحْدُوثَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ يقول عز وجل مبشراً لعباده المؤمنين، بأنه لو ناجزهم المشركون لنصر الله رسوله وعباده المؤمنين عليهم، ولانهزم جيش الكفر فاراً مدبراً ﴿ثُمَّ لَا يَحْدُوثَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ لأنهم محاربون لله ولرسوله ولحزبه المؤمنين، ثم قال تبارك وتعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ أي هذه سنة الله وعاداته في خلقه، ما تقابل الكفر والإيمان في موطن فيصل، إلا نصر الله الإيمان على الكفر، فرفع الحق ووضع الباطل، كما فعل تعالى يوم بدر بأوليائه المؤمنين، نصرهم على أعدائه من المشركين، مع قلة عدد المسلمين وعددهم وكثرة المشركين وعددهم». [تفسير ابن كثير ٤ / ٢٤٤]

وقال تعالى: ﴿لَنْ يَنْصُرُوَكُمْ إِلَّا أَذَىٰ ۖ وَإِنْ يَفْقَهُوْكُمْ يُولُوْكُمْ الْأَذْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ﴾ [آل عمران ١١١]

قال الإمام الطبري رحمه الله: «وإن يقاتلكم أهل الكتاب من اليهود والنصارى يهزموا عنكم فيولوكم أدبارهم انهزاما...
﴿ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ﴾ يعني: ثم لا ينصرهم الله أيها المؤمنون عليكم لكفرهم بالله ورسوله وإيمانكم بما آتاكم نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم لأن الله عز وجل قد ألقى الرعب في قلوبهم فأيدكم أيها المؤمنون بنصركم وهذا وعد من الله تعالى ذكره نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم وأهل الإيمان نصرهم على الكفرة به من أهل الكتاب». (جامع البيان ٣ / ٣٩٢)

وهذه السنة الإلهية نراها ماثلة أمامنا اليوم على أرض الواقع، فهذه الدول العظمى بقواتها وعتادها وعملائها تقف عاجزة أمام تلك العصاة المؤمنة من المجاهدين الذين لا ناصر لهم إلا الله، فليس عندهم ترسانة أسلحة ولا ميزانيات مفتوحة، ولا دول تدعمهم، ومع ذلك أبطلوا مخططات هذه الدول العظمى، وأفشلوا مشاريعهم الاستعمارية. نعم، إنه نصر الله الذي وعد، وقريبا والله سيفرح المؤمنون بنصر الله، وسيندحر أعداء الأمة خائبين خاسرين، وستمضي سنة الله التي لا تتبدل ولا تتحول، وستعود هذه الأمة لقيادة هذا العالم، وإن غدا لناظره قريب.

٨- العبرة ليست بالكثرة

قال تعالى: ﴿كَمْ مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة ٢٤٩].

وقال تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِتْنَتِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا فِتْنَةً لِّقَتْلِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِّثْلَهُمْ رَأَى الْعَيْنُ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بَصَرَهُ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [آل عمران ١٣].

قال القرطبي رحمه الله: «قال ابن عباس رضي الله عنه والسدي: جاز معه في النهر أربعة آلاف رجل فيهم من شرب، فلما نظروا إلى جالوت وجنوده وكانوا مائة ألف كلهم شاكون في السلاح رجع منهم ثلاثة آلاف وستمائة وبضعة وثمانون؛ فعلى هذا القول قال المؤمنون الموقنون بالبعث والرجوع إلى الله تعالى عند ذلك وهم عدة أهل بدر: ﴿كَمْ مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾. وأكثر المفسرين: على أنه إنما جاز معه النهر من لم يشرب جملة، فقال بعضهم: كيف نطبق العدو مع كثرتهم فقال أولو العزم منهم: ﴿كَمْ مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾. قال البراء بن عازب رضي الله عنه: كنا نتحدث أن عدة أهل بدر كعدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر ثلاثمائة وبضعة

عشر رجلا_وفي رواية: وثلاثة عشر رجلا_وما جاز معه إلا مؤمن».

الجامع لأحكام القرآن ٣ / ٢٣٩ |

وفي تاريخ الطبري: «وقال رجل لخالد رضي الله عنه ما أكثر الروم وأقل المسلمين فقال خالد ما أقل الروم وأكثر المسلمين إنما تكثر الجنود بالنصر وتقل بالخذلان لا بعدد الرجال والله لوددت أن الأشقر براء من توجييه وأنهم أضعفوا في العدد» اتاريخ الطبري ٢ / ٣٣٧ |

٩- ماذا سيخسر أعداؤنا في الجهاد؟

قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾
[النساء ١٠٤]

قال ابن كثير رحمه الله: «وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ﴾ أي: لا تضعفوا في طلب عدوكم، بل جدوا فيهم، وقاتلوهم، واقعدوا لهم كل مرصد ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ﴾ أي كما يصيبكم الجراح والقتل كذلك يحصل لهم كما قال تعالى: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ﴾ ثم قال تعالى: ﴿وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ أي أنتم وإياهم سواء فيما يصيبكم من الجراح والآلام، ولكن أنتم ترجون من الله المثوبة والنصر والتأييد كما وعدكم إياه في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وهو وعد حق، وخبر صدق، وهم لا يرجون شيئاً من ذلك، فأنتم أولى بالجهاد منهم وأشد رغبة فيه، وفي إقامة كلمة الله وإعلانها ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ أي هو أعلم وأحكم فيما يقدره ويقضيه وينفذه ويمضيه من أحكامه الكونية والشرعية وهو المحمود على كل حال». (تفسير ابن كثير ١ / ١٧٣١)

نعم، إنه لا يستقيم أن ننظر إلى النتائج بعين واحدة وهي: كم قتل

منا؟ وكم جرح منا؟ وماذا خسرنا؟ وماذا فقدنا؟ بل يجب أن ننظر بالعين الأخرى: ماذا خسر أعداؤنا؟ وكم فقدوا؟ وماذا حصل لهم من الرعب؟ وما هي النتائج في المستقبل؟.. حتى نستطيع أن نقيّم ونحكم فنقدم بعد ذلك أو نحجم.

وأيضا لا تقاس هذه المعادلة بعدد القتلى والجرحى كما يقيسها البعض بل تقاس بأبعادها الشرعية والسياسية والاقتصادية والعسكرية وغير ذلك، فقد لا يخسر العدو أعدادا كبيرة ولكنه يخسر سياسيا واقتصاديا، وتفشل مشاريعه ومخططاته فيندفع بذلك شر عظيم عن هذه الأمة، وتنكسر هيئته وسطوته في قلوب الناس.

وأضرب لذلك مثلا بالعمليات الاستشهادية المباركة في فلسطين فلو قيمناها بعدد القتلى لوجدنا أنه قد يقتل من اليهود في العملية عشرة فيقتلون من إخواننا في فلسطين العشرات ويهدمون الكثير من المنازل، ولكن هذا التقييم أعوج وغير صحيح، فالعمليات الاستشهادية المباركة يكفي أنها أوقفت الأطماع التوسعية لليهود وأبطلت حلمهم في إسرائيل العظمى، حتى أعطوا للفلسطينيين دولة وبنوا الجدار العازل اتقاء لهجمات الاستشهاديين، فكم اندفع بهذه العمليات من شر عن هذه الأمة، وكم حصل للفلسطينيين من مكاسب، فلولا الله ثم هذه الانتفاضة المباركة وذروة سنامها العمليات الاستشهادية لما اعترف اليهود بحق الدولة للفلسطينيين، والله أعلم.

١٠ - أسباب النصر

وعد الله سبحانه وتعالى المؤمنين بالنصر وبشرهم به في آيات كثيرة:

فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كِمْنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ۖ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ۖ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (١٧٢) ﴿[الصفات]

وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ﴾ (٥١) ﴿[اغافر ٥١]

وقال تعالى: ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۖ وَبَشِيرٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الصف ١٣)

فالنصر للمؤمنين وعد وبشارة من الله سبحانه وتعالى، ولكنه ليس وعدا مطلقا بل مقيد بأسباب وشروط من أخذ بها تحقق له هذا الوعد وحصلت له هذه البشارة، ومن أخل بها أو بشيء منها لم يكن موعودا بالنصر ووكله الله إلى نفسه.

وأسباب النصر بينها الله سبحانه في كتابه وبينها النبي ﷺ في سنته، وأعظم هذه الأسباب على الإطلاق هو تحقيق التوحيد لله جل وعلا قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ

بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴿النور ٥٥﴾

أي: أن هذا الوعد بالنصر والتمكين مقيد بحال كونهم موحدين لله غير مشركين به، فالتوحيد أعظم سبب لولاية الله تعالى ولذا فأهله أسعد الناس بتأييد الله ونصره، كما أن الشرك أعظم محادة لله تعالى ولذا فأهله أبعد الناس عن الله وكتب الله عليهم الذلة والخذلان والهوان بسبب شركهم قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾ [المجادلة ٢٠]

وأيضا هناك أسباب أخرى للنصر يجب أن يستكملها أهل التوحيد ليتحقق لهم وعد الله بالنصر بينها الله سبحانه بقوله: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾ [الأنفال]

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: «أمر المجاهدين فيها بخمسة أشياء ما اجتمعت في فئة قط إلا نصرت وإن قلت وكثر عدوها: أحدها: الثبات.

الثاني: كثرة ذكره سبحانه وتعالى.

الثالث: طاعته وطاعة رسوله.

الرابع: اتفاق الكلمة وعدم التنازع الذي يوجب الفشل والوهن

وهو جند يقوي به المتنازعون عدوهم عليهم فإنهم في اجتماعهم كالخزمة من السهام لا يستطيع أحد كسرهما فإذا فرقها وصار كل منهم وحده كسرهما كلها.

الخامس: ملاك ذلك كله وقوامه وأساسه وهو الصبر.

فهذه خمسة أشياء تبتنى عليها قبة النصر ومتى زالت أو بعضها زال من النصر بحسب ما نقص منها وإذا اجتمعت قوى بعضها بعضها وصار لها أثر عظيم في النصر ولما اجتمعت في الصحابة لم تقم لهم أمة من الأمم وفتحوا الدنيا ودانت لهم العباد و البلاد ولما تفرقت فيمن بعدهم وضعفت آل الأمر إلى ما آل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم والله المستعان وعليه التكلان وهو حسبنا ونعم الوكيل».

[الفروسية ٥٠٥-٥٠٦]

ومن أجمع الآيات في بيان أسباب النصر قوله تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نَّصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُم وَيُخْلِفْ أَقْدَامُكُمْ﴾ ﴿٧﴾ محمد ١٧.

فالله سبحانه وتعالى في هذه الآية يشترط علينا أن ننصره لينصرنا ويثبتنا، فما معنى نصره العبد لربه؟

قال العلماء: نصره العبد لله هي نصره دينه و كتابه ورسوله ﷺ، فإن أقمنا ديننا وكتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ نصرنا ربنا وحقق لنا وعده فالجزاء من جنس العمل.

ويقول سبحانه مينا معنى نصره العبد لربه: ﴿وَلْيَنْصُرْكَ اللَّهُ
مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (٤٠) الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا
الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ
الْأُمُورِ (٤١) ﴿الحج ١﴾.

فالذين ينصرهم الله ويمكنهم في الأرض هم الذين يقيمون دينه
ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

والله سبحانه وتعالى لما ذكر غزوة أحد في سورة آل عمران ذكر
في وسط أحداثها النهي عن الربا وأمر بالمسارعة إلى الخيرات وتركية
النفوس والبعد عن الفواحش والاستغفار من الذنوب ليبين أن هذه
الأمور من عدة النصر، وأن التفريط فيها سبب للخذلان والهزيمة.

فهذه أسباب النصر التي إن توفرت حصل النصر وتحقق الوعد،
فإن حصل انتصار مع تفريط في هذه الشروط فليس هذا هو النصر
الموعود، بل هي جاهلية تنتصر على جاهلية.

فكيف يرجو النصر من الله من يعبد غيره، أو يحكم بغير شريعته،
أو يحاربه بالربا والمعاصي، أو يصد عن سبيل الله ويتولى أعداءه ويعادي
أوليائه؟!!

إن من يرجو النصر من الله وهو على هذه الحال لا شك أنه
مغرور ومخدوع.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وإذا خرج ولاية الأمور عن هذا فقد حكموا بغير ما أنزل الله ووقع بأسهم بينهم، قال النبي ﷺ: «ما حكم قوم بغير ما أنزل الله إلا وقع بأسهم بينهم».

وهذا من أعظم أسباب تغيير الدول كما قد جرى مثل هذا مرة بعد مرة في زماننا وغير زماننا، ومن أراد الله سعادته جعله يعتبر بما أصاب غيره فيسلك مسلك من أيده الله ونصره ويحتنب مسلك من خذله الله وأهانته، فإن الله يقول في كتابه: ﴿وَلْيَنْصُرْكَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾.

فقد وعد الله بنصر من ينصره ونصره هو نصر كتابه ودينه ورسوله لا نصر من يحكم بغير ما أنزل الله...» [مجموع الفتاوى ٣٥ / ٣٨٨]

واسمع لكلام القرطبي رحمه الله - وهو يتحدث عن واقعه وكأنه يحكي واقعنا: «فهذه أسباب النصر وشروطه وهي معدومة عندنا غير موجودة فينا فإننا لله وإنا إليه راجعون على ما أصابنا وحل بنا ! بل لم يبق من الإسلام إلا ذكره ولا من الدين إلا رسمه لظهور الفساد ولكثرة الطغيان وقلة الرشاد حتى استولى العدو شرقا وغربا برا وبحرا وعمت الفتن وعظمت المحن ولا عاصم إلا من رحم» [الجامع لأحكام القرآن ٣ / ٢٣٩]

١١ - أسباب الهزيمة، والحكمة من وقوعها، وموقف المسلم منها

أما أسباب الهزيمة فنستطيع معرفتها مما تقدم وهي التفریط بأسباب النصر، وخاصة التقوى وهي طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ، فالمعاصي أعظم أسباب الهزيمة وتسلب الأعداء، بل كل ما يصاب به العبد من مصيبة فيسبب ذنوبه كما قال جل وعلا: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ الشورى ٣٠.

ولما أصاب المسلمين ما أصابهم في أحد تعجب الصحابة رضي الله عنهم كيف وقعت هذه الهزيمة؟!، كيف يقع ذلك وهم المسلمون وأعداؤهم مشركون؟! كيف يحصل هذا والرسول ﷺ معهم وبين أظهرهم؟! كيف والله سبحانه قد وعدهم بالنصر؟!!

فبين الله جل وعلا أن ذلك بما كسبت أيديهم، ومن عند أنفسهم فقال تعالى: ﴿أَوَلَمَّْا أَصَابَكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّنَا هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (آل عمران ١٦٥).

وقد قال تعالى مبينا لهم أنه قد نصرهم وصدقهم وعده حتى فرطوا هم بأسباب النصر فانقلب النصر إلى هزيمة فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّا بَعَدَ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ

وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ [آل عمران ١٥٢]

أي: ولقد حقق الله لكم ما وعدكم به من نصر، حين كنتم تقتلون الكفار في غزوة أحد بإذنه تعالى، حتى إذا جُئتم وضعفتم عن القتال واختلقتم: هل تبقون في مواقعكم أو تتركونها لجمع الغنائم؟ وعصيتهم أمر رسولكم حين أمركم ألا تفارقوا أما كنكم بأي حال، حلت بكم الهزيمة من بعد ما أراكم ما تحبون من النصر.

ومما يؤثر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كتب إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ومن معه من الأجناد «أما بعد: فإنني آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال، فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو وأقوى المكيدة في الحرب، وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراسا من المعاصي منكم من عدوكم، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم، وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة، لأن عددنا ليس كعددهم ولا عدتنا كعدتهم فإن استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة، وإلا ننصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا، فاعلموا أن عليكم في سيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون فاستحيوا منهم ولا تعملوا بمعاصي الله وأنتم في سبيل الله..»

إجمهرة خطب العرب ١ / ٢٢٥

أما الحكمة من وقوع الهزيمة فقد بين الله سبحانه وتعالى ذلك في ذكر أحداث غزوة أحد فقال تعالى: ﴿إِنْ يَمَسُّكُمْ فَرَجٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَرَجٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْآيَاتُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿١٤١﴾﴾ [آل عمران]

فبين سبحانه أن له في ذلك أكثر من حكمة:

أما الأولى ففي قوله: ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ هذه هي الحكمة الأولى: وهي اختبار المؤمنين ليظهر المؤمن الصادق من المنافق، فلا يظهر صدق الإيمان ولا يتميز الصادق من الكاذب والمؤمن من المنافق إلا بمثل هذا البلاء، أما في حال القوة والانتصار فلا تتميز الصفوف.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فمن الحكم تمييز المؤمن عن غيره فإنهم إذا كانوا دائما منصورين لم يظهر لهم وليهم وعدوهم إذا الجميع يظهرون الموالاتة فإذا غلبوا ظهر عدوهم» [العقيدة الأصفهانية ١/ ١٢٩]

كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴿١١﴾﴾ [العنكبوت]

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: «والمقصود: أن الله سبحانه اقتضت حكمته أنه لا بد أن يمتحن النفوس ويبتليها فيظهر بالامتحان طيبها من خبيثها ومن يصلح لمولاته وكراماته ومن لا يصلح وليمحص النفوس التي تصلح له ويخلصها بكير الامتحان كالذهب الذي لا يخلص ولا يصفو من غشه إلا بالامتحان إذ النفس في الأصل جاهلة ظالمة وقد حصل لها بالجهل والظلم من الخبث ما يحتاج خروجه إلى السبك والتصفية فإن خرج في هذه الدار وإلا ففي كير جهنم فإذا هذب العبد ونقي أذن له في دخول الجنة» [زاد المعاد ٣ / ١١]

وأما الحكمة الثانية ففي قوله: ﴿وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾ أي: يختار ويصطفي منكم شهداء يكرمهم بالشهادة لينالوا أعلى مراتب الجنة حيث بذلوا أرواحهم في مرضاة الله، وصبروا حتى قتلوا في سبيل الله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ومن الحكم أن يتخذ منكم شهداء فإن منزلة الشهادة منزلةً عليّةً في الجنة ولا بد من الموت فموت العبد شهيداً أكمل له وأعظم لأجره وثوابه ويكفر عنه بالشهادة ذنوبه وظلمه لنفسه والله لا يجب الظالمين» [العقيدة الأصفهانية ١ / ١٢٩-١٣٠]

وأما الحكمة الثالثة ففي قوله: ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي:

يكفر ذنوبهم ويرفع درجاتهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ومن ذلك أن يمحص الله الذين آمنوا فيخلصهم من الذنوب فإنهم إذا انتصروا دائما حصل للنفوس من الطغيان وضعف الإيمان ما يوجب لها العقوبة والهوان » وقال: « وقد شهدنا أن العسكر إذا انكسر خشع لله وذل وتاب إلى الله من الذنوب وطلب النصر من الله وبرىء من حوله وقوته متوكلا على الله » [العقيدة الأصفهانية ١ / ١٣٠]

أما الحكمة الرابعة ففي قوله: ﴿وَيَمَحَقَ الْكُفْرَ﴾ أي: يهلكهم لأنهم إذا انتصروا ازدادوا في غيهم وجبروتهم وهذا سبب هلاكهم ودمارهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وذلك أن الله سبحانه إنما يعاقب الناس بأعمالهم والكافر إذا كانت له حسنات أطعمه الله بحسناته في الدنيا فإذا لم تبق له حسنة عاقبه بكفره والكفار إذا أدلوا يحصل لهم من الطغيان والعدوان وشدة الكفر والتكذيب ما يستحقون به المحق ففي إدالتهم ما يمحقهم الله به» [العقيدة الأصفهانية ١ / ١٣١]

أما موقف المسلم من الهزيمة فبينه الله تعالى في سياق الآيات التي نزلت في غزوة أحد.

فأولاً: اتهام النفس والنظر في عيوبها، وأن ما أصابها فبسبب ذنوبها، فيتوب منها ويستغفر ويراجع نفسه ويصحح أخطائه.

وهذا موقف عام في جميع ما يصاب به العبد في نفسه أو ماله أو دينه أو عرضه قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى ٣٠]

وفي غزوة أحد قال تعالى: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَكُمْ مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِّثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ [آل عمران ١٦٥]

ثانياً: يقف المسلم أمام الهزيمة بإيمان تام ويقين كامل.. لا تزعزعه هذه الهزيمة ولا ترده على عقبيه، فلا يضعف ولا يستكين ولا يذل لعدوه، ولا يتخلى عن جهاده كما قال تعالى: ﴿وَكَايْنِ مِّنْ نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [١٤٦] وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ [١٤٧] [آل عمران]

ثالثاً: الاستعلاء بالإيمان، ومعناه أن المؤمن يتسلى بإيمانه ويرتفع به فيتجاوز المصيبة فلا تفت في عضده... عندما يتذكر أنه المؤمن وعدوه الكافر، وأنه على حق وعدوه على باطل، وأن مصيره إلى الجنة وعدوه إلى النار.. عندما يستشعر ذلك فإنه يشمخ بإيمانه وتهون عليه مصيبته

ويندفع عنه الحزن، فلو خسر كل شيء وبقي له الإيمان فهو الفائز والعاقبة له إن عاجلاً أو آجلاً.

قال تعالى مسلماً المؤمنين بعد غزوة أحد: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران ١٣٩).

وهكذا استعلى النبي ﷺ بإيمانه يوم أحد عندما قال أبو سفيان: اعل هبل. قال رسول الله ﷺ: «ألا تجيبوه؟» قالوا: ما نقول؟ قال: «قولوا: الله أعلى وأجل». ثم قال: لنا العزى ولا عزى لكم قال: «ألا تجيبوه؟» قالوا: ما نقول؟ قال: «قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم». ثم قال: يوم بيوم بدر والحرب سجال. فقال عمر: لا سواء قتلاتنا في الجنة وقتلاكم في النار.

وفي مسند الإمام أحمد: «لما كان يوم أحد وانكفأ المشركون قال رسول الله ﷺ: «استووا حتى أثني على ربي». فصاروا خلفه صفوفاً فقال: «اللهم لك الحمد كله اللهم لا قابض لما بسطت ولا باسط لما قبضت ولا هادي لما أضللت ولا مضل لمن هديت ولا معطي لما منعت ولا مانع لما أعطيت ولا مقرب لما باعدت ولا مباعد لما قربت اللهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك اللهم إني أسألك النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول اللهم إني أسألك النعيم يوم العيلة والأمن يوم الخوف اللهم إني عائذ بك من شر ما أعطيتنا وشر ما منعتنا اللهم حبب إلينا

الإيمان وزينه في قلوبنا وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين اللهم توفنا مسلمين وأحينا مسلمين وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مفتونين اللهم قاتل الكفرة الذين يكذبون رسلك ويصدون عن سبيلك واجعل عليهم رجزك وعذابك اللهم قاتل الكفرة الذين أوتوا الكتاب إله الحق. » [المسند ٣ - ٤٢٤] وصححه الألباني.

فانظر كيف استعلى النبي ﷺ بإيمانه، بل وأثنى على ربه لما له من حكمة بالغة في كل ما يقضيه ويقدره فهو الأهل للثناء والمحمود على كل حال تعالى وتقدس.

فتدبر هذا الحديث كلمة كلمة لتعرف حقيقة الاستعلاء ومعنى الشموخ بالإيمان والتسلي به، ليهون عليك بعد ذلك ما قد يصيبك من تسلط الأعداء وعلوهم في الأرض، ولا يغرنك تقلبهم في البلاد، وتذكر أن العاقبة للمتقين، وأن الدائرة على الكافرين، واسأل الله تعالى أن يجعلك من أنصار دينه وأهل ولايته.

١٢ - البيعة في الجهاد

البيعة في اللغة: المعاقدة والمعاهدة

قال ابن الأثير رحمه الله: «هو عبارة عن المُعَاقَدة عليه والمُعَاهَدة كَأَنَّ كُلَّ واحدٍ منهما باعَ ما عنده من صاحبه وأعطاه خَالِصَةً نَفْسِهِ وِطَاعَتَهُ وَدَخِيلَةَ أَمْرِهِ». النهاية في غريب الأثر (١ - ١٤٥٢)

وهي غير خاصة في البيعة على الإمامة كما هو ظاهر الأحاديث فتجوز لأمراء الجهاد قال الإمام البخاري رحمه الله: باب البيعة في الحرب أن لا يفروا وقال بعضهم على الموت لقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ الفتح ١٨.

بل تجوز على مختلف الطاعات كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو على حفظ القرآن أو غير ذلك.

فيتبايع المجاهدون على الصبر وعدم الفرار والثبات فلأمير الجهاد أن يأخذ ذلك من مقاتليه ولا يتجاوز بها ساحة المعركة ولا يستصحب بها أحكام الإمامة العظمى.

فبيعة الإمام تختلف عن بيعة الأمير في الجهاد من نواحٍ عديدة من حيث الشروط والأحكام.

١٣ - إقامة الدولة

تقدم معنا في الحقيقة الأولى أن إعلاء كلمة الله هو الغاية العظمى للجهاد، وذكرنا أن معنى ذلك أن تكون الشريعة هي الحاكمة والمهيمنة وذلك معناه إقامة الدولة الإسلامية، فأیما مجاهد لا يسعى لذلك اختياراً فجهاده باطل وعمله حابط.

ولكن لا يعني ذلك أن تقام دول لا وجود لها إلا في أذهان أصحابها ولا حقيقة لها ولا كيان في الواقع ثم يمتحن بها الناس وتنزل عليها أحكام الشرع ويعطى أصحابها أحكام الإمامة العظمى فتكون سببا في انشغال المجاهدين بأنفسهم عن عدوهم والافتيات على الفصائل الأخرى - وأعني بها الفصائل الإسلامية - ومصادرة جهادهم.

يقول الله عز وجل: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾
الحج ٤١.

فإقامة الدولة شرط لها التمكن في الأرض وهو المقدرة على التصرف فيها، والإمام هو ذلك الممكّن الذي يختاره المسلمون (أهل الحل والعقد أو أكثرهم)، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «إن النبي ﷺ أمر بطاعة الأئمة الموجودين المعلومين الذين لهم سلطان يقدرون به على

سياسة الناس لا بطاعة معدوم ولا مجهول ولا من ليس له سلطان ولا قدرة على شيء أصلاً». منهاج السنة (١ - ١١٥).

أما دولة لا تمكين لها فهي أحلام يقظة، وإمام لا يختاره المسلمون فهو مستبد لا تجوز له إلا ولاية القهر، وامتحان الناس في هذا كله خطأ أربأ بإخواني المجاهدين أن يقعوا في هذا المنزلق وهم الذين لم يخرجوا - كما نحسبهم - إلا نصرةً لهذا الدين وإعلاء لكلمة الله تعالى، وعليهم أن يراجعوا الثقات من أهل العلم، ويسألوهم في ذلك وفي صحته، وإنني والله لا أحب لهم إلا كل خير، وما قلت هذا إلا نصحاً لهم وشفقة عليهم، أسأل الله أن يرينا الحق حقاً ويرزقنا أتباعه والباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه.

النبي المجاهد ﷺ

عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري» إرواه أحمد وصححه الألباني.

فالجهاد مقترن بدعوته ﷺ، وقد نصره الله بالربح مسيرة شهر، وهو الضحوك القتال وإمام المجاهدين وأشجع الناس، وكان الصحابة رضي الله عنهم إذا احمر البأس يتقون به، والشجاع منهم من يحاذيه.

ووصف بالكتب السابقة بجهاده وجهاد أمته قال ابن القيم رحمه الله: «وفي صفته في الكتب الأولى «عزه على عاتقه» إشارة إلى تقلده السيف وفيها أيضا صفته وصفة أمته تتقلد السيوف كما في الزبور في بعض المزامير: «من أجل هذا بارك الله عليك إلى الأبد فتقلد أيها الخيار السيف مسنونة والأمم يجرون تحتك».

وليس من الأنبياء من تقلد السيف بعد داود وخرت الأمم تحته وقرنت شرائعه بالهبة سوى نبينا كما قال: «نصرت بالربح مسيرة شهر».

وفي صفة أمته في الزبور: «وليفرح من اصطفي الله أمته وأعطاه النصر وسدد الصالحين منهم بالكرامة يسبحونه على مضاجعهم ويكبرون

الله بأصوات مرتفعة بأيديهم سيوف ذات شفرتين لينتقم بهم من الأمم الذين لا يعبدونه «وهذه الصفات منطبقة على محمد وأمته.»

[الفروسية ١٥٩/١٦٠]

فجهاد النبي ﷺ ومغازيه هي الجزء الأكبر والأهم من سيرته العطرة ﷺ، ففي العهد المدني وهو عشر سنين غزا النبي ﷺ سبعا وعشرين غزوة، وبعث ستا وخمسين سرية، وهذا يعني أنه كان يغزو على الأقل في السنة مرتين ويرسل على الأقل خمس سرايا.

وفي مغازيه ﷺ الكثير من الأحكام والعبر والدروس، قال الزهري رحمه الله: «في علم المغازي خير الدنيا والآخرة»، وقال علي بن الحسين رحمه الله: «كنا نعلم مغازي رسول الله ﷺ كما نعلم السورة من القرآن». وهو القائل ﷺ: «ولولا أن أشق على أمتي ما قعدت خلف سرية ولوددت أني أقتل في سبيل الله ثم أحيأ ثم أقتل ثم أحيأ ثم أقتل».

[رواه البخاري من حديث أبي هريرة]

وقد أمرنا الله تعالى بالافتداء به في جهاده وفي جميع شؤونه ﷺ فقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ
الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب ٢١]

قال العلامة ابن كثير رحمه الله: «هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله ولهذا أمر تبارك وتعالى

الناس بالتأسي بالنبي ﷺ يوم الأحزاب في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه عز وجل صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين ولهذا قال تعالى للذين تقلقوا وتضجروا وتزلزلوا واضطربوا في أمرهم يوم الأحزاب ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ أي هلا اقتديتم به وتأسيتم بشمائله ﷺ. [تفسير ابن كثير ٣ - ٦٢٦]

﴿ وبشر المؤمنين ﴾

قال تعالى: ﴿ وَأُخْرَىٰ يُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

(الصف ١٣)

في هذه الآية الكريمة يأمر الله سبحانه نبيه ﷺ أن يبشر المؤمنين المجاهدين بالنصر على أعدائهم والفتح العاجل لهم. فأبشروا أيها المجاهدون بالنصر القريب فإن الله لا يخلف الميعاد. وأبشروا فكلما اشتدت الأزمة وعظمت المصيبة فقد قرب النصر والفرج.

لا تيأسن من انفراج شديدة *** قد تنجلي الغمرات وهي شدائد
والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ حَقَّ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ
قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَّشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾
(يوسف ١١٠)

قال ابن كثير رحمه الله: «يذكر تعالى أن نصره ينزل على رسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عند ضيق الحال وانتظار الفرج من الله في أحوج الأوقات إليه».

وأبشروا فإن الله لن يضيع جهادكم قال سبحانه: ﴿ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي
سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾ (أحمد ٤) (قرأ الجمهور قاتلوا) قال الإمام الطبري

رحمه الله: «والذين قاتلوا منكم أيها المؤمنون أعداء الله من الكفار في دين الله وفي نصرة ما بعث به رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم من الهدى فجاهدوهم في ذلك ﴿فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالُهُمْ﴾ فلن يجعل الله أعمالهم التي عملوها في الدنيا ضلالا عليهم كما أضل أعمال الكافرين».

وقال ابن القيم رحمه الله: «فمن ظن بأنه لا ينصر رسوله ولا يتم أمره ولا يؤيده ويؤيد حزبه ويعليهم ويظفرهم بأعدائه ويظهرهم عليهم وأنه لا ينصر دينه وكتابه وأنه يدلل الشرك على التوحيد والباطل على الحق إدالة مستقرة يضمحل معها التوحيد والحق اضمحلالا لا يقوم بعده أبدا فقد ظن بالله ظن السوء ونسبه إلى خلاف ما يليق بكماله وجلاله وصفاته ونعوته فإن حمده وعزته وحكمته وإلهيته تأبى ذلك وتأبى أن يذل حزبه وجنده وأن تكون النصرة المستقرة والظفر الدائم لأعدائه المشركين به العادلين به فمن ظن به ذلك فما عرفه ولا عرف أسماءه ولا عرف صفاته وكماله» (زاد المعاد ٣ / ١٩٦)

أيها الأبطال المجاهدون: إن سنة الله تعالى لا تبديل لها ولا تحويل وهو ناصر دينه ومنجز وعده، فعليكم بتقوى الله تعالى فهي خير زاد وعدة لكم على أعدائكم ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ربحكم واعلموا أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا. وأنتم أيها المسلمون عليكم بنصرة إخوانكم بالنفس والمال ما

استطعتم إلى ذلك سبيلا، وعليكم بالدعاء لإخوانكم الذين يذبون عن
أعراضكم ودمائكم وهذا لا يعذر فيه أحد.

لا خيل عندك تهديها ولا مال *** فليسعد النطق إن لم تسعد الحال

واعلموا أن الله غني عنكم وأن ما تقدمونه لأنفسكم من خير
تجدونه عند الله وأن الله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.
فاللهم يا مجري السحاب ويا منزل الكتاب ويا هازم الأحزاب عليك
بأعدائك الذين يصدون عن سبيلك..

اللهم لا ترفع لهم راية ولا تحقق لهم غاية واجعلهم لمن خلفهم آية..

اللهم اجعل كيدهم في نحورهم واجعل تدبيرهم في تدميرهم..

اللهم انصر المجاهدين في سبيلك..

اللهم سدد رميهم وثبت أقدامهم واربط على قلوبهم وتقبل شهداءهم
واشف جراحهم وفك أسراهم..

اللهم وحد صفوفهم وألف بين قلوبهم واجمع كلمتهم..

اللهم انصرهم نصرا عزيزا..

اللهم تول أمرهم واجبر كسرهم وارحم ضعفهم..

اللهم كن لهم ناصرا ومعينا ووليا وظهيراً.. اللهم آمين.

محمد بن عبد الله الحصم

١٤٣٤ / ١٢ / ٣ هـ

